القيادة الموحدة والتنظيمات الإسلامية ومنظمة التحرير في انتفاضة ١٩٨٧*

بسام الصالحي | رباح مهنا
جمال زقوت | سمير شحادة
حسن يوسف | عمر عساف**

أدار الندوة وحررها: غادة المدبوح***
فرّغت النص: لارا كنعان

عقدت "مؤسسة الدراسات الفلسطينية" ندوة "القيادة الموحدة والتنظيمات الإسلامية ومنظمة التحرير في انتفاضة ١٩٨٧"، في سياق مؤتمر "انتفاضة ١٩٨٧، الحدث والذاكرة" الذي نظمته المؤسسة بالتعاون مع دار النمر، في جامعة بير زيت في رام الله في ٢٠١٧/١١/٢٤، بهدف إعطاء مساحة للذاكرة الجمعية بعد مرور ٣٠ عاماً على ذكراها، لكن ليس فقط لتذكّر كيف وماذا حدث، بل أيضاً لفهم كيف شكّل ما حدث في انتفاضة ١٩٨٧ نقطة تحول في تاريخ القضية، وكيف يمكن تفسير ما حدث في تلك انتفاضة بما تلاها من هبّات لم تتوقف منذ انهيار عملية السلام مع

* عُقدت الندوة في الجلسة الثانية خلال اليوم الأول لمؤتمر "انتفاضة ١٩٨٧: الحدث والذاكرة" الذي نظمته مؤسسة الدراسات الفلسطينية ودار النمر للفن والثقافة في جامعة بير زيت يوم الجمعة الموافق فيه ٢٠١٧/١١/٢٤.

** بسام الصالحي: الأمين العالم لحزب الشعب الفلسطيني، ونائب في المجلس التشريعي الفلسطيني، والعضو في القيادة الموحدة للانتفاضة الأولى • جمال زقوت: عضو المجلس الوطني الفلسطيني، والعضو في القيادة الموحدة للانتفاضة الأولى • حسن يوسف: نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني، وأحد قيادات حركة "حماس" في الضفة الغربية، اعتُقل لعدة أعوام في سجون الاحتلال • رباح مهنا: قيادي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين • سمير شحادة: حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي، وعمل محاضراً في جامعة بير زيت، وهو عضو مؤسس في القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الأولى عن حركة "فتح" • عمر عساف: كاتب ومحلل سياسي، وسكرتير اللجنة الوطنية للدفاع عن حق العودة، وكان عضواً في القيادة الموحدة أثناء الانتفاضة الأولى.

*** أستاذة مساعدة وعضو هيئة تدريسية في دائرة العلوم السياسية في جامعة بير زيت، ومديرة الأبحاث في المركز الفلسطيني ـ الأميركي للبحوث (PARC) في فلسطين.

اسرائيل بعد الانتفاضة الثانية. وبينما تكشف الندوة عن نقاط تقاطع، وعن كثير من الخلافات، فإن الثابت هو أن انتفاضة الحجارة هي حدث رسّخ ثقة المقاوم الفلسطيني، وبلور الهوية الجمعية الفلسطينية محلياً وإقليمياً ودولياً.

غادة المدبوح: أرحّب بالمتحدثين اليوم، والطريقة التي سنمضي فيها خلال الندوة هي عبارة عن طرح أسئلة مركزية جرى التشاور فيها مع اللجنة الاستشارية في مؤسسة الدراسات الفلسطينية خلال التحضير لهذا المؤتمر، وسنعطي كل متحدث ثلاث أو أربع دقائق للإجابة عن الأسئلة، ثم سيُفتح باب النقاش للجمهور في آخر نصف ساعة، وسأتولى إدارة هذه الندوة. أهلاً بالجميع.

انتفاضة عفوية وقيادات شبابية جديدة

غادة المدبوح: هل كان اندلاع الانتفاضة، واتساع رقعتها عفوياً، أم إنه حدثٌ تم الترتيب له مسبقاً؟

جمال زقوت: إن النقطة الجوهرية في الأسباب الحقيقية لاندلاع الانتفاضة تتمثل في نضج دور الحركة الوطنية على الصعيدين السياسي والتنظيمي، والتي عملياً عبّرت عن حالة التباعد التي وصلت إلى الذروة بين الشعب الفلسطيني بمختلف شرائحه ومكوناته، وبين الاحتلال. فإذا عدنا إلى النداء رقم ٢، وهو النداء الأول للقيادة الموحدة في ٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨ في الضفة الغربية، وفي ١٠ كانون الثاني/يناير في غزة، كنداء مباشر لهذه الانتفاضة، سنجد أن الانتفاضة تلخص الأسباب التي أدت إلى أن تكون المشاركة شمولية، لأنها عبّرت عن الهموم الكبرى لمختلف القطاعات، سواء تلك المتصلة بقطاع أصحاب الأراضي والفلاحين، أو بالعمال الذين يخضعون لجميع أشكال التمييز والقهر على يد قوات الاحتلال، فضلاً عن إغلاق الجامعات، وموضوع الضريبة المضافة في مواجهة القطاع التجاري، ومنع انتظام وتنظيم الحركة السياسية والنقابية في غزة، لأن في الضفة الغربية كان هناك بعض الحريات. وأذكر بينما كنا نعقد هيئة عامة لانتخاب نقابة الخدمات العامة في غزة، أن مقر النقابات حوصر، فانتقلنا إلى مقر الصليب الأحمر لإجراء تلك الانتخابات، فكان مجرد تنظيم عمل نقابي لعمال يُستغلون سواء في إسرائيل، أو في سوق العمل الفلسطينية، يُعتبر مشكلة.

وعليه لا يمكن أن يقال إن الانتفاضة بدأت بصفارة من قائد ما في منطقة ما في الداخل أو الخارج، لأنه لا يمكن عزل جميع أشكال النضال التي عملت عليها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وأطراف الحركة

الوطنية بأشكالها النضالية كلها، سواء بالعمل العسكري أو العمل الجماهيري، والتي شكلت الشرارة التي استُكملت في اليوم التالي في تشييع العمال الأربعة عندما استشهد الشاب حاتم السيسي.

وقد سبق ذلك كله شعور الناس بأن حياتهم مهددة بالخطر عندما لاحق أحد المستوطنين الطفلة انتصار العطار من مخيم دير البلح بسبب إلقائها حصاة، وليس حجراً، على سيارة هذا المستوطن، فلاحقها إلى مدرستها، ودخل إلى فصلها الدراسي وأطلق النار عليها فاستشهدت، ثم أفرج الاحتلال عنه بعد سبعة أيام. والشيء ذاته تكرر مع مناضلي حركة الجهاد الإسلامي عند منطقة وادي غزة، حين توقفت سيارتهم وكان يمكن إلقاء القبض عليهم، لكن جرت تصفيتهم مباشرة.

بسام الصالحي: الانتفاضة حدث عفوي، واندلاعها في ٨ – ١٩٨٧/١٢/٩، جاء نتيجة تراكم المعاناة والظلم والقهر الذي دفع إلى التصعيد في مواجهة الاحتلال. لكن عاملَين أديا دوراً مهماً في تأطيرها في الأيام التالية: أولاً، في الفترة ما بين سنتَي ١٩٨٢ و١٩٨٣ حتى سنة ١٩٨٧، بدأ يتقلص الهامش القيادي الفلسطيني الذي كان متاحاً بعد حل البلديات وضرب لجنة التوجيه الوطني، وبالتالي، فإن القيادة الرسمية الفلسطينية في الأراضي المحتلة خلال الفترة ١٩٨٣ – ١٩٨٧، لم تكن قيادة معبّرة عن الحراك العام، وإنما كانت قيادة شبه رسمية، وباستثناء فيصل الحسيني، فإن جميع الأسماء التي برزت كانت على هامش الموقع الرسمي؛ ثانياً، كان الطابع القيادي الشعبي المقترب من الناس قد انتكس بين سنتَي ١٩٨٢ و١٩٨٣، وبدأت تظهر تعبيرات لمنظمة التحرير في الأرض المحتلة، أقل تأثيراً، الأمر الذي فسح في المجال لبروز قيادات جديدة من الوسط الطلابي الذي كان منخرطاً في الحالة الشعبية، وممّن خرجوا من السجون من كوادر التنظيمات المتنوعة، وبادروا، بشكل أو بآخر، إلى تنظيم الحالة الشعبية العامة قبل أن تتلقف القيادة السياسية المسألة رسمياً. فمثلاً في الأيام الأولى من الانتفاضة، كان الجميع يتساءلون عمّا سيحدث في هذه الحالة غير المسبوقة من المشاركة الشعبية، ومن هنا بدأ التفكير في كيفية ضمان الاستمرارية. وكخلاصة، فإن الانتفاضة بدأت عفوية، ونظمتها قيادات شعبية منها كوادر من الفصائل مرتبطة بالشارع مباشرة، ونشأت بعد تجربة كفاحية، وأدت دوراً في التنظيم البدائي الأول في الانتفاضة مع الحالة الشعبية العامة، وبعد ذلك بدأ تدخّل القوى السياسية بصورة أكثر تنظيماً.

حسن يوسف: أنا لا أعتقد أن هناك شيئاً اسمه عفوي، وخصوصاً في انتفاضة كانتفاضة الحجارة الكبرى، فانتفاضة بحجمها لا يمكن أن تكون عفوية. فالذي كان يتابع الحدث منذ بداية الثمانينيات حتى بداية الانتفاضة، يلاحظ تراجعاً في الوضع الفلسطيني السياسي بصورة عامة، حتى إنه في مؤتمر القمة العربية الطارئة: "الوفاق والاتفاق" الذي عُقد في الأردن، لم تدرج القضية الفلسطينية في البيان الختامي، وحينها قال الملك حسين اكتبوا ما يريده الأخ أبو عمار، فأضافوا الفقرة الأخيرة وهي تأكيد القضية الفلسطينية، ونصرة الدول العربية

ووقوفها إلى جانب الحق الفلسطيني. لقد كان الفلسطينيون قوة وطاقة هائلة تنتظران الحدث الذي يفجرهما.

سمير شحادة: أنا أميل إلى القول إن الشعب الفلسطيني كله كان سيد الانتفاضة، ولا أُجيّر الأمر إلى فصيل أو حزب كحاضنة للانتفاضة، أو كمؤشر أول إليها. فهذه المسألة ليست خاضعة للتصنيف أو تركيب مسميات عليها، عفوية أو مقصودة، وعلينا دائماً أن نعود إلى الشعب، فهو سيد الموقف على الرغم من الظلم الكبير الذي يعانيه.

ثمة كثير من الأحداث/الأسباب التي لا يمكن أن نتجاوزها، مثل الاجتياح الإسرائيلي للبنان والخروج من بيروت، ومسألة الانقسام الذي وقع في "فتح"، ونعي منظمة التحرير في صحف عربية، وغيرها من الأمور التي أثرت في خيارات الشعب، لكن في نهاية الأمر تدخلت قيادات التنظيمات التي استطاعت أن تقرأ البوصلة تماماً، وتمكنت من أن تقود وأن توجّه.

عمر عساف: كانت بدايات الانتفاضة عفوية بامتياز، وكونها عفوية لا يقلل من شأن دور القوى الوطنية، بل إن تطور مسيرة الانتفاضة من العفوية إلى التنظيم مر بعدة مراحل، لكن وتائر هذا التطور كانت مختلفة بعضها عن بعض.

إن مَن يقرأ كتاب ديفيد غروسمان "الزمن الأصفر" الذي صدر قبل الانتفاضة بستة أشهر يدرك مدى المعاناة لدى الشعب الفلسطيني. يقول غروسمان: "لو كنا مكان الفلسطينيين لكنا ثُرنا في اليوم مئة مرة على الاحتلال الفلسطيني"، وفعلاً، بعد ستة أشهر اندلعت الانتفاضة. المسألة الأُخرى هي المؤتمر التوحيدي الفلسطيني في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩٨٧، وكان يوم الوحدة الوطنية الذي أسس للتوجه الوحدي في الحالة الفلسطينية. لقد كانت الفصائل تتابع المرحلة التي مرت بها الانتفاضة في الشهر الأول إلى أن انتظمت، من خلال لجنة عمل وطني مشترك في القدس، تحت مسمى القوى الوطنية، والتي كانت تجتمع باستمرار في القدس لأن الحركة في القدس كانت أسهل. وكان فخراً للقوى الوطنية الفلسطينية أن تلتقط هذا الحدث، وأن تعمل على تحويله إلى عمل منظم بعد انقضاء بضعة أسابيع على اندلاع الانتفاضة.

رباح مهنا: الانتفاضة لها مقدمات وأسباب وتداعيات. فعندما تراجعت الثورة المسلحة في غزة والضفة، مرت الحالة الفلسطينية بركود منذ بداية السبعينيات حتى أوائل الثمانينيات. وعلى الرغم من أن الأوضاع الاقتصادية في الضفة وغزة كانت معقولة، وكان العمال يشتغلون بدخل معقول، فإن الممارسات الإسرائيلية القمعية والعنصرية ضد العمال في الداخل المحتل، ولّدت لدى الناس في الضفة وغزة شعوراً بأن هذا الاحتلال يمارس ضدهم تنكيلاً واضحاً. هذا أولاً. ثانياً، عندما طُردت منظمة التحرير من بيروت، ركزت المنظمة وجميع الفصائل عملها على الداخل الفلسطيني. ثالثاً، كان للتنظيمات الفلسطينية دور فاعل في أوائل الثمانينيات بتحريك الشارع الفلسطيني، فكنا نرى كل "بيت عزاء" أو "فرح" يتحولان إلى مناسبة وطنية. علاوة على ذلك كان هناك تحركات الشباب في الجامعات في أوائل الثمانينيات، والإفراج عن السجناء في صفقة التبادل التي قامت بها القيادة العامة بقيادة

أحمد جبريل، وعملية الطائرة الشراعية، وعملية الجهاد الإسلامي في ١٢/٦، وهو ما ألهب مشاعر الجمهور الفلسطيني الذي بات أكثر استعداداً للتحرك.

لقد بدأت الانتفاضة بفعل جماهيري عفوي شاركت فيه قطاعات الشعب العمرية والمهنية كافة. وأذكر بعد نحو عشرة أيام من الانتفاضة جاء إلى قطاع غزة قائد المنطقة الجنوبية يتسحاق مردخاي، فدعا ١٥٠ شخصية إلى اللقاء بهدف تهدئة الناس عن القيام بانتفاضة، وكان من ضمن الشخصيات الدكتور حيدر عبد الشافي، ثم بعد ذلك تشكلت القيادة الوطنية الموحدة وبدأت تقوم بدورها.

غياب "حماس" والقوى الإسلامية عن القيادة الموحدة

غادة المدبوح: بتلخيص سريع، بين مَن قال إن الانتفاضة عفوية وغير عفوية، ومن كل ما أعرفه في دراسات الحركات الاجتماعية أو الثورات، فإنه لا يوجود تنظيم مثل التنظيم الذي كانت تتميز به الانتفاضة، وخصوصاً في السنة الأولى، إذ كانت من دون أطر موجودة أصلاً على الأرض. إن إلهاب المشاعر، والأحداث التي تحدثتم عنها، مهمان جداً، لكنني أعتقد أن الشبكات الاجتماعية التي كانت موجودة، والجمعيات كذلك، ونوع الترابط أكان اجتماعياً أم سياسياً، كان لها دور كبير في انطلاق الانتفاضة بهذه القوة وبهذا التنظيم.

من هنا ندخل إلى السؤال الثاني: لماذا بقيت التيارات الإسلامية خارج القوى الوطنية الفلسطينية؟ وكيف تصف هذه العلاقة بين التيارات الإسلامية والقوى الوطنية الأُخرى؟

جمال زقوت: مع التشديد على ما طُرح بشأن العلاقة بين الاندفاعة القوية للجماهير منذ اللحظة الأولى للانتفاضة، وبين دور القوى المنظمة التي كانت منخرطة فيها، وهي أصلاً جزء من الجمهور، إلاّ إن هذه القوى التقطت اللحظة وطورتها في برنامج واضح. وأنا أعتقد أنه لولا القوى السياسية لم يكن من الممكن وضع صيغة واحدة، فمنذ ٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧، حتى ٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨، كان الجميع منخرطاً في الانتفاضة، ثم تبلور برنامج الانتفاضة عشية ٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨، وصدر البيان موقّعاً باسم القيادة الوطنية الموحدة بتصعيد الانتفاضة في الضفة الغربية، وهو البيان ذاته الذي صدر في غزة في ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨.

يظهر ذلك في طبيعة الواقع الاقتصادي الاجتماعي وطبيعة السياسات الإسرائيلية قبل اندلاع الانتفاضة، وفي نضج الحركة الوطنية واتساع شبكتها عبر المنظمات الجماهيرية، أكان ذلك في الجامعات، أم النقابات، أم المنظمات النسائية أو الاجتماعية الأُخرى التي عملت على تعزيز صمود الجماهير وثقتها بنفسها، ومواجهة هيمنة الاحتلال بالتدريج، بينما لم يكن الاحتلال يرى ذلك كله.

في ذلك الوقت، لم يكن هناك قوى

إسلامية باستثناء حركة الجهاد الإسلامي التي انخرطت في الانتفاضة منذ الدقيقة الأولى. فهذه الحركة التي كان يتزعمها الشهيد فتحي الشقاقي، كانت تدعو إلى عمل عسكري مباشر، وكان هناك حوار بعد تأسيس القيادة الموحدة مع الجهاد الإسلامي عبر الأخ زياد النخالة، والنقاش كان أن يبقى الاسم هو "القيادة الوطنية الموحدة"، أو "القيادة الوطنية والإسلامية الموحدة". لقد انخرط الجهاد الإسلامي، ثم المجمع الإسلامي، أمّا قيادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة فاجتمعت ورأت أن هذا عمل نوعي مفصلي لا يمكن لحركة الإخوان المسلمين أن تعزل نفسها عنه وإلاّ ستعزل نفسها عن مجمل الحركة الوطنية، وقررت تأسيس حركة "حماس" فيما بعد.

بسام الصالحي: يمكن تقسيم المراحل الأولى للانتفاضة من الناحية التنظيمية إلى فترتين: الأولى من ٨ – ١٩٨٧/١٢/٩ إلى ١٩٨٨/١/٨، والثانية ما بعد ١٩٨٨/١/٨.

في الفترة الأولى لم يكن هناك صيغة تنظيمية موحدة لقيادة الانتفاضة، وإنما كانت الفصائل تعمل كلاً على حدة، مع وجود أشكال من التنسيق الواسع على المستويات المحلية، في المدن والقرى والريف بين ناشطي العمل الوطني كلهم، وكانت تصدر بيانات في المواقع نفسها من التنظيمات بأسماء متنوعة، أو باسم القوى الوطنية. وقد استمر ذلك قرابة شهر كامل، وكنت أنا شخصياً في هذه الفترة أعمل في قطاع غزة، وكنت على تواصل مباشر ويومي مع أحداث الانتفاضة. ففي تلك الفترة بالتحديد صدر أول بيان، وكان مذيلاً بتوقيع القوى الوطنية الموحدة في قطاع غزة، ثم صارت البيانات بعد ذلك تصدر باسم اللجان الشعبية، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى ١٩٨٨/١/٨، عندما تشكلت القيادة الموحدة للانتفاضة.

أمّا في قطاع غزة، فإن الحركة الإسلامية، وخصوصاً "حماس"، لم تكن في البداية منخرطة في فاعليات الانتفاضة على أساس منظم، وهي حتى بعد الانخراط التنظيمي فيها، لم تكن جزءاً من القيادة الموحدة، والسبب في ذلك يعود إلى موقفها الواضح والصريح في ميثاقها الذي يتضمن ملاحظات على منظمة التحرير أساساً لكونها علمانية، وبالتالي لا مجال للعمل معها؛ وحتى في نص ميثاق حركة "حماس" الذي صدر في آب/أغسطس ١٩٨٨، كان هناك نص واضح بشأن شكل العلاقة مع منظمة التحرير. لكن مع استمرارية الانتفاضة وقيادتها من جانب فصائل منظمة التحرير والقوى الوطنية، أخذت "حماس" القرار بالانضمام إلى هذه الحالة لاعتبار وطني من جهة، واعتبار تنظيمي من جهة أُخرى، إذ إنها لو لم تنخرط في فاعليات الانتفاضة، لفقدت القدرة على السيطرة على جمهورها، ومن هذا المنطلق جاء التزامها بالقيادة الموحدة.

حسن يوسف: خلية الإخوان المسلمين في الداخل المحتل منذ سنة ١٩٤٨، كانت في سنة ١٩٧٩ بقيادة عبد الله نمر درويش، وكانت مسلحة، واعتُقل أفرادها لـ ٤ أعوام، كما اعتُقل الشيخ أحمد ياسين وإبراهيم المقادمة والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في سنة ١٩٨٣ بسبب عملهم في تجميع السلاح، وقد أُفرج بعد عام عن الشيخ أحمد ياسين في

صفقة تبادل الأسرى التي قامت بها القيادة العامة. علاوة على ذلك استشهد جواد أبو سلمية في جامعة بير زيت، وهو من الكتلة الإسلامية والإخوان المسلمين، فكيف يقال إننا متأخرون؟

بالعودة إلى القرن الماضي، فإن أول خلية عسكرية دشّنها الإخوان المسلمون للجهاد في فلسطين كانت في سنة ١٩٣٥، وأول خلية عسكرية أُسست في فلسطين كانت في سلواد في سنة ١٩٤٢.

لقد كنت خلال الثمانينيات مسؤولاً عن الإخوان المسلمين في المنطقة كلها، وتم الاتفاق على تشكيل حركة "حماس" ومواجهة الاحتلال، فتحولنا جميعاً من إخوان مسلمين إلى ما يسمى تنظيم "حماس". وفي ١٩٨٧/٤/١٤ صدر البيان باسم "حمس"، ثم أضيف إليه حرف الألف في البيان رقم ٢ ليصبح اسم الحركة "حماس". وليس هناك تصريح، أو بيان، أو نصّ في أدبيات الحركة يقول إن "حماس" تريد أن تكون بديلة من منظمة التحرير، بل خلافاً لما يقال، فإن إحدى مواد الميثاق الصادر في ١٩٨٨/٨/٢١ تذكر منظمة التحرير كإخوة وأخوات وآباء وأمهات وأعمام، فنحن وإياهم في خندق واحد لمواجهة الاحتلال، حتى لو اختلفنا في الرؤى، فلكل فصيل رؤيته وبرنامجه السياسي. لكن للأسف الشديد، منذ بداية ظهور الحركة لم يتم الترحيب بنا، ولا استيعاب واحتواء بعضنا لبعض، وإنما حدث العكس تماماً، إذ وقعت الاحتكاكات من البداية ومحاولة التضييق علينا، بل إننا حتى في السجن ضُربنا، وكنت أنا أول الضحايا في سنة ١٩٩٠، وكان يقال لنا إننا عملاء، وحتى في أدبيات الآخر، قيل لنا إن الاحتلال ورابين هما مَن سمح بوجودكم لتكونوا بديلاً من منظمة التحرير الفلسطينية. إن دورنا تكاملي مع بعضنا البعض، حتى إن كانت الرؤى والبرامج مختلفة، فدورنا تنافسي، وهو أمر أثرى الانتفاضة.

غادة المدبوح: لكن "حماس" نفسها هي التي أعلنت أن انطلاقتها تشكل انقساماً عن فكر الإخوان المسلمين بشكل يدعو إلى المقاومة المسلحة مع الاحتلال.

سمير شحادة: إن العلاقة بين القوى الوطنية والقوى الإسلامية أو "حماس"، علاقة غير مخفية، فهناك اختلاف وتناقض واتهام، وهي على مستوى القيادة من الأعلى حتى الخلية البسيطة تتسم بعدم وجود اتفاق، ولا وفاق، بل إن هناك أسباباً كثيرة ساهمت في إبعاد الأطراف بعضها عن بعض، وبالتالي يجب أن نحصر الموضوع، وألاّ نزج أنفسنا في دهاليز الاتهامات. فأنا شخصياً، وربما هذا اعتراف لأول مرة، كنت شاهداً حقيقياً على تشكيل القيادة الوطنية الموحدة التي أطلقت بياناتها بعنوان "لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة"، والتي ربما سبقت البيان رقم ١ الذي أصدرته "فتح"، والبيان رقم ٢ الذي صاغته الجبهة الديمقراطية، كما كنت شاهداً على تلك الجلسات التي شهدتها أروقة في القدس من بعض الفصائل في ذلك الوقت. وأذكر واقعة بسيطة، قبل تشكيل القيادة الوطنية الموحدة، فقد كنا نتحرك في ميدان المنارة والتقيت بالأخ والرفيق عمر عساف، وكانت المحلات مغلقة، والإضرابات تعمّ الشوارع. هذا الوضع الميداني هو الذي كان مهيمناً على وضع القيادة الوطنية الموحدة،

حتى قبل تشكيلها، فالميدان جمع "فتح" و"حماس" والديمقراطية والشعبية وحزب الشعب، وأنا قلت في البداية إن الشعب هو الذي أشعل الانتفاضة.

عندما بدأت الانتفاضة، وكانت في أول أيامها، كنت في قيادة "فتح"، وذهبت إلى عمّان لأرد على الذين قالوا ليس للداخل علاقة بالخارج، وتحدثت في اتصال هاتفي مع الأخ أبو جهاد، وكان خارج عمّان، ووضعته في الصورة وضرورة تشكيل لجنة قيادة وطنية موحدة، فقال حرفياً: "إرجع واعمل قيادة من الجميع." وصلت عند الظهر وجلست مع الرفيق عمر عساف، وبدأنا بالحديث، ثم انضم إلى الحوار فيما بعد الرفاق في الجبهة الشعبية. كنا ثلاث قوى فقط، وكان قد صدر آنذاك بيانان هما البيان رقم ١ للقوى الفلسطينية، والبيان رقم ٢ للجبهة الديمقراطية، فأصدرنا البيان رقم ٣ الذي طُبع منه ١٢٠,٠٠٠ نسخة في ليلة واحدة وتم توزيعه، واعتبرنا أن البيان رقم ٣ هو البداية الفعلية لولادة المقاومة أو القيادة الوطنية الموحدة، وتبعته البيانات ٤ و٥ و٦، لكن لم يكد التوزيع يبدأ في البيان رقم ٦ حتى سُجنت في المسكوبية.

رباح مهنا: كان هناك نقاش مع حركة "حماس" بهدف إدخالها إلى منظمة التحرير، لكنها رفضت، وأذكر رد الرنتيسي عندما سألته عن السبب قوله: "أولاً المنظمة علمانية، ونحن نريدها إسلامية. ثانياً المنظمة معترفة بإسرائيل ونحن غير معترفين بها." أعتقد أن "حماس"، كي تكون في إطار ومنطق إسلامي في خدمة القضية الفلسطينية، لم تقبل أن تكون جزءاً من القيادة الموحدة. "حماس" لم تشارك في القيادة الوطنية الموحدة، والسبب الأول هو إبراز قوتها، فبعد عملية ١٩٧٧/١٢/٦، اعتبر قادتها أنهم أنجزوا عملاً كبيراً. علاوة على ذلك، رفضت حركة الجهاد الإسلامي الانضمام إلى المنظمة، أو حتى إلى "حماس" لتشكيل تيار إسلامي موحد، لأنها هي أيضاً كانت تريد أن تُبرز نفسها وقوتها.

الآن، وبعد إصدار "حماس" بيانها الأخير الذي يتضمن الاعتراف بدولة فلسطين على حدود ١٩٦٧، بدأت وجهة نظر "حماس" تتغير، وأصبحت أكثر استعداداً لدخول منظمة التحرير، لكن بشروطها. لذا أرجو من القيادة الفلسطينية وقيادة المنظمة أن تسهّل دخول "حماس" لأن لديها قوة ووجوداً كبيرين على الأرض، ودخولها إلى المنظمة يعزز قوة هذه الأخيرة. أنا أقول إن المصلحة الوطنية تقتضي دخول "حماس" والجهاد إلى منظمة التحرير الفلسطينية كي نوحّد الشعب الفلسطيني تحت إطار واحد.

عمر عساف: "حماس" كانت تظن أنها بديل من منظمة التحرير، ولم تفكر في العمل سوياً مع القيادة الوطنية الموحدة. فعلى الأرض كان هناك عمل جماعي مشترك، لكن على المستوى التنظيمي كان هناك تباين ولم يعمل الاثنان معاً، وأعتقد لو كان العمل مشتركاً، ولو كان موحداً، لربما أعطى نتائج أفضل. بالتالي، كان هناك نوع من المنافسة كان يأخذ أحياناً طابع مَن الذي سيواجه الاحتلال أكثر، وهذا أمر مشروع في إطار المنافسة، لكن أحياناً كان هناك نوع من المناكفة، ولم يكن عملاً مشتركاً، فالتيار الإسلامي كان يعمل بمفرده، والقيادة الوطنية الموحدة كانت تعمل

لوحدها، إلاّ إن العلاقة لم تصل إلى حد الصراع، وهذا يسجَّل لنا كحركة وطنية. كنا، على الرغم من ذلك، نترك للشارع أن يستجيب للفاعليات، أكانت تلك الصادرة عن القيادة الموحدة، أو عن حركة "حماس"، لكننا لم نحاول أن نفرض رأياً ضد آخر.

انتفاضة مغدورة

غادة المدبوح: بمناسبة الحديث عن العلاقة بين الفصائل نفسها، نصل إلى السؤال الثالث وهو: ماذا كان دور قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج، وهل كان دورها إيجابياً أم سلبياً في الانتفاضة؟ أعرف أنه سؤال كبير، لكن أرجو أن تكون النقاط محددة وأساسية، لأن الحديث عن دور المنظمة يحتاج إلى وقت طويل.

جمال زقوت: القيادة الموحدة اعتبرت أن كل فلسطيني هو جزء من منظمة التحرير، مثلما يقول ميثاقها، لكن للأسف لم يعترف أبو عمار علناً بالقيادة الموحدة إلاّ بعد أن أصدرنا ٦ بيانات، مع أنه كان لدينا معه نقاشات داخلية قبل ذلك. وقد جرى فيما بعد استعجال استثمار النتائج السياسية لهذه الانتفاضة، وأنا هنا لا أتحدث عن البرنامج السياسي بقدر ما أتحدث عن المبادرات السياسية التي حولت الانتفاضة من انتفاضة وطنية كبرى، إلى "انتفاضة مغدورة"، وجميعنا ساهم في ذلك، ليس فقط قيادة منظمة التحرير، بل كل مَن اعتقد بعد تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية، أن الحقوق تُسترد على طاولة المفاوضات، أو من خلال عملية استشهادية.

بسام الصالحي: نحن في الحزب الشيوعي لم نشارك منذ البداية في القيادة الموحدة، وذلك لسببين: أولاً، الرغبة في ألاّ تتدخل منظمة التحرير بشكل مباشر، بحيث تتكرر تجربة الجبهة الوطنية خلال الفترة ١٩٧٣ – ١٩٧٤، إذ كنا نريد صيغة فيها استقلالية أكبر في الضفة الغربية؛ ثانياً، الحاجة إلى وضوح سياسي لهدف الحراك القائم. لكن عندما أدركنا أن مطالبنا هذه هي بحد ذاتها أعلى من إمكان التحقق، غلّبنا عنصر الوحدة في القيادة الموحدة على هذه الاعتبارات، وحاولنا معاً أن يكون تدخّل منظمة التحرير في أضيق الحدود، من أجل إعطاء الساحة الداخلية المجال كي تطور ذاتها. وأعتقد أن تدخّل المنظمة المبالغ به لاحقاً لم يفد الانتفاضة، بل حدثت تباينات ملموسة، أبرزها عندما دعت القيادة الموحدة إلى إضراب تجاري شامل رفضاً لاستقبال جورج شولتز في حينه، فمع أن الموقف في الخارج كان رافضاً لذلك أيضاً، إلاّ إن بعض التباينات حدث في المواقف. لكن التكامل الذي حدث في سنة ١٩٨٨ كان في رأيي، ثمرة العلاقة الصحيحة بين الانتفاضة وبين قيادة المنظمة في الخارج، وقد ظهر ذلك من خلال إعلان الاستقلال في ١٩٨٨/١١/١٥، والذي هو في تقديري، كان أفضل تتويج لشكل العلاقة بين الانتفاضة ومنظمة التحرير. أمّا فيما يتعلق بالأداء اليومي بعد ذلك، فأنا

أعتقد أن التدخل الخارجي لم يكن بالمستوى المطلوب لتطوير الانتفاضة.

أحمد يوسف: أخذاً في الاعتبار أن المنظمة هي الجهة المتنفذة في القرار الفلسطيني، فإنها هي التي تأخذ على عاتقها كل مسار له علاقة بعملية التسوية، وبالقرار الفلسطيني عامة، وقرار التسوية خاصة. لكن نحن لدينا قناعات، وهذا ما يبرهنه التاريخ، بأنه فيما يتعلق بمقارعة ومقاومة شعبنا الفلسطيني للاحتلالات كلها، فكلما كان شعبنا الفلسطيني يوشك أن يقطف ثمار النصر، أو أن يحقق إنجازاً سياسياً على الأرض، كان هناك خطوات اعتراضية، إمّا من المستوى الرسمي العربي كما حدث في إبّان الثلاثينيات وإضراب ١٩٣٦، وغيره، وإمّا ممّا كان يجري في انتفاضة الحجارة، وهنا نعتبر أن تدخّل منظمة التحرير لم يكن موفقاً.

المسألة أن الاحتلال الإسرائيلي وظّف عملية التسوية من أجل شرعنة التمدد الاستيطاني على الأراضي الفلسطينية، بحيث تآكلت الحقوق الفلسطينية بشكل كبير جداً، فمدريد كانت فخاً لنا، تلتها مسيرة عملية أوسلو وجميع الإخفاقات التي حدثت، والتهويد والاستيطان، وقضم الأرض والوقائع التي فرضها الاحتلال الإسرائيلي، وهذه كلها وظفتها إسرائيل لمصلحتها من خلال قبولنا بعملية التسوية. أنا في تقديري لو كان هناك تأنّ وصبر أكثر من طرف القيادة، ولو أنها لم تتدخل بالطريقة التي تدخلت فيها، لأن هذا أدى إلى ارتخاء الناس، وخروج قوى كبرى من شعبنا من مواجهة الاحتلال، ولو بقي مثلاً حجم "فتح" بالقوة والاندفاع ذاتهما مع مثيلاتها من القوى الفلسطينية الأُخرى، لكان الشعب الفلسطيني حصل على مكاسب سياسية أكثر كثيراً ممّا هو موجود حالياً، بل إننا على العكس من ذلك لم ننل شيئاً حتى الآن.

سمير شحادة: الإيجابية الأساسية أننا لم نكن نعيش حالة انفصام بين قيادة الداخل وقيادة الخارج، بل على العكس كنا نرفع شعار أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد.

وفي الحقيقة، لم يكن هناك فروقات كثيرة في التفكير والتوجهات والهدف بين قيادة الداخل والخارج، لكن إحدى النقاط السلبية تتمثل في تحويل العمل السري للانتفاضة إلى عمل علني؛ أعتقد أن ذلك كان خطأ. نقطة أُخرى أعتبرها سلبية هي دور المال في الانتفاضة الأولى، وعندما أقول دور المال لا أستثني أحداً، أكان من "فتح" التي تملك أكبر قوة مالية، أم من "حماس" والفصائل الأُخرى، فقد دخل المال إلى الملعب وأحدث خراباً.

رباح مهنا: أهم إيجابيات دور المنظمة هو الدعم السياسي الكبير للانتفاضة، والذي تُوّج في المؤتمر التوحيدي في الجزائر في سنة ١٩٨٨، وأنتج وثيقة الاستقلال التي لاقت إجماعاً وطنياً، بينما بيان التحرك السياسي الذي عرضه ٥٥ عضواً من المجلس الوطني في هذا الوقت، فأعتقد أنه من العوامل التي أسست لأوسلو. علاوة على ذلك كان هناك دعم دولي للانتفاضة، ودفع إعلامي كبير لها، من خلال منظمة التحرير عندما شكلت اللجنة المشتركة برئاسة أبو جهاد. أمّا عن السلبيات، فأول سلبية هي المال الذي أسس لظاهرة السرقة من طرف القائمين عليه، إذ

حدثت سرقات للمال الذي كان يرسَل وسط نوع من الفساد تفشّى في مؤسسات الوطن المحتل؛ ثانياً، التدخل السياسي الزائد عن حدّه، وخصوصاً لدى الإخوة في حركة "فتح" الذين كانوا متخوفين من بروز شخصيات في الداخل تغطي على قيادة الحركة في الخارج؛ ثالثاً، تدخّل القيادة في الخارج في تفصيلات العمل.

عمر عساف: إن جميع الفصائل لها علاقة بالخارج، وقياداتها موجودة في الخارج، باستثناء الرفاق في الحزب الشيوعي لأن قيادتهم متمركزة في الداخل. وبالتالي، فإن التواصل مع الخارج هو مسألة عادية، لكن الإشكالية هي كيف يتعامل الخارج مع الداخل؟ ففي الوقت الذي كان يُنشر بيان يعتبر القيادة الموحدة ذراعاً لمنظمة التحرير، إلاّ إن هذا أيضاً كان غير كافٍ ويثير تخوفات لدى قيادات منظمة التحرير الفلسطينية. وفي اعتقادي، فإن فاعليات الانتفاضة، على الأقل في مراحلها الأولى، جرت بمعزل عن التدخل من الخارج، لكن بعد ذلك أصبح هناك تدخّل من الخارج. وثمة قضايا كبيرة مثل "هل نعلن العصيان المدني أم لا؟"، ولا نذيع سراً إذا قلنا إن موقف "فتح" والجبهة الشعبية كان أن نعلن العصيان المدني في أحد البيانات، بينما كان موقف الديمقراطية وحزب الشعب أن الظروف غير ناضجة لإعلان العصيان المدني. وقد استمر النقاش ١٧ ساعة في إطار القيادة الموحدة، وعلى مدى جلستين، لتكون نتيجة القرار الاتفاق على الشروع في الإعداد للعصيان المدني. علاوة على ذلك، كانت جولات بيكر وغيره مقدمات لأوسلو التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه.

"الانتفاضة كحالة مستمرة"

غادة المدبوح: بناء عليه، نصل إلى السؤال الرابع وهو: هل كان يمكن استثمار الانتفاضة سياسياً على نحو مختلف؟

جمال زقوت: نعم أعتقد أنه لا تزال هناك فرصة لتصويب المسار، وهذا ليس فقط لقراءة التاريخ لأن هذا التاريخ لا يزال حياً، فالاحتلال قائم، والشعب الفلسطيني ما زال تحت الاحتلال، هذا الشعب الذي أظهر بعد الانتفاضتين الأولى والثانية، ولاحقاً عبر انتفاضة الشباب في سنة ٢٠١٥، ثم في هبّة الأقصى قبل أشهر، أنه لا يزال يحمل مخزوناً قوياً. نعم كان يمكن أن يكون أفضل ممّا كان، فبرنامج السلام الفلسطيني لم يكن هو فقط المشكلة، بل أيضاً التكتيك السياسي الذي استعجل النتائج، وكذلك الخوف من إقصاء المنظمة بعد حرب الخليج. وهنا أقول إن المسؤولية لا تتحملها القيادة السياسية فحسب، بل القوى المعارضة أيضاً، ولو بنسبة أقل. فالطرفان، قياساً بفكر الانتفاضة، والمشاركة الشعبية الواسعة عملياً، أحالا هذه المشاركة إلى حالة من التقاعد: فطاولة المفاوضات بمفردها، وإرضاء الإسرائيلي والأميركي، لا يمكن أن يأتيا لنا بالحقوق، بل إنهما عطّلا أي إمكان لأن نحقق أفضل ممّا حققنا؛ وفي المقابل، فإن إحالة العملية

برمّتها إلى حالة استشهادية تضع الشعب كله في حالة انتظار ما يمكن أن يحدث بعد ذلك، إنما هي أمر تتحمل مسؤوليته القوى المعارضة. وهذا ليس محاكمة لا لأوسلو اليوم، ولا للتكتيك الذي اتبعته حركتا "حماس" والجهاد الإسلامي، ونسبياً حركة "فتح" في الانتفاضة الثانية، لكنني أقيس المسألتين قياساً بمفهوم الانتفاضة، أي دور الشعب عندما يشارك بجميع قواه كما جسدته الانتفاضة الأولى.

انطلاقاً من هذا المفهوم، أقول نعم كان هناك انتفاضة مغدورة. وتنحية الجماهير الشعبية التي أحدثت ما أحدثته في الفكر السياسي الفلسطيني وفي الوضع الإقليمي والدولي، وأدخلت القضية الفلسطينية إلى مراحل مختلفة عن الأعوام الماضية كلها، كان لها دور سلبي، فقد جرت تنحية الشعب الفلسطيني ودوره المنظم جانباً، واستُبدل بما استُبدل به إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه، لكن استخلاص العبر من ذلك ما زال ممكناً؛ صحيح أن الظروف الآن أصعب، والحركة الوطنية في وضع أكثر صعوبة، والتشابك والتعقيدات الإقليمية والعلاقة مع المحتل شائكة، لكن يمكن إعادة بناء الحركة الوطنية على أسس مختلفة مستلهمين روح الانتفاضة الأولى من حيث إشراك الناس، وليس تغييرهم، ولا مصادرة حقوقهم، ولا استغلالهم، ولا وضع حاجز بينهم وبين المحتل.

بسام الصالحي: كان من الممكن الوصول إلى نتائج أفضل، لكن عدم حدوث هذا كان مردّه إلى عدة عوامل هي: كان يجب فهم العلاقة ما بين الداخل والخارج، وبين قيادة الانتفاضة وقيادة منظمة التحرير، فالمصطلح الذي كان يُستعمل للقيادة الموحدة حصرها منذ البداية في أنها ذراع لمنظمة التحرير الفلسطينية، أي أن الحالة الموجودة في الداخل هي ذراع المنظمة، بينما هي في حقيقة الأمر كانت تعيد الروح إلى المنظمة. وبالتالي، فإن منطق العلاقة الأساسي هو أنه كان هناك إعادة إحياء للحالة الفلسطينية ولمنظمة التحرير بزخم كبير ولّدته جماهير الأرض المحتلة التي كان يجب، بفعل قيادتها، أن تأخذ دوراً تشاركياً حقيقياً في المسار السياسي. لكن هذا لم يحدث، بل إن حسابات المنظمة أصبحت مركزة في تكتيكها السياسي، كما أنها غلّبت شكلها ومظهرها في العملية السياسية على الهدف المباشر لتلك العملية. ولذلك رأينا أن الوفد المفاوض الذي ذهب إلى مدريد من الداخل المحتل، لم يعامَل كشريك قيادي، وإنما كمجرد وفد سيرجع في كل شيء إلى القيادة، موحياً بشكل أو بآخر بأن دوره تابع، وأنه ليس شريكاً فعلياً، وهو ما كان يظهر بوضوح عندما كانت تحدث التباينات. ولذلك أعتقد أنه كان يمكن الوصول إلى نتائج أفضل بالحفاظ على أمرين: أولاً، الحالة التشاركية التي نشأت من جهة على المستوى السياسي والقيادي والتكتيكي، وثانياً، إبقاء الانتفاضة قائمة كحالة مستمرة، لا كحالة تنتظر النتائج السياسية بشكل مباشر. وهذان الأمران كلاهما لو تمت المحافظة عليهما لكانت النتائج بالتأكيد أفضل. فعلى سبيل المثال، عندما أصر الوفد الفلسطيني المفاوض في مدريد على قضايا مثل الاستيطان والقدس وغيره، كان لهذا الإصرار قيمة نوعية، لأنه عندما وصلنا إلى أوسلو التي أحالت هذا

الموضوع كله إلى ما سُمي الحل النهائي، دخلنا في الورطة الكبرى. وللتدليل على ذلك، فإنه لو بحثنا بعد أوسلو وبعد مجيء المنظمة عن القيادات السياسية التي ظهرت في خضمّ الانتفاضة والحالة الشعبية الفلسطينية، فلن نجدها في أي من المواقع الأساسية للقيادة العسكرية.

حسن يوسف: فعلاً كان هناك تعجل من القيادة في الخارج من خلال مسار التسوية الذي أوصلنا إلى ما وصلنا إليه، ونحن منذ البدايات نصحنا وأصدرنا بيانات، كما أصدرت الشعبية والديمقراطية البيانات المشتركة بإعلان الإضراب في وقت عقد مؤتمر مدريد في سنة ١٩٩١. لقد كان هناك تحذيرات من أمر التسوية، لكن المتنفذين الذين كان بيدهم القرار تعجلوا هذا الأمر.

غير أن الوقت لا يزال فيه متسع لإعادة التقويم والدراسة من خلال وحدة فلسطينية حقيقية على الأرض، تُمسك بوحدة القرار في السلم والحرب، وتقوم على الشراكة الكاملة من جميع مكونات الشعب الفلسطيني، كي نتمكن جميعاً من مجابهة المخاطر المحدقة بقضيتنا الفلسطينية. وفي اعتقادي، فإن هذا هو العلاج الحقيقي لما وصلنا إليه الآن، ذلك بأن استمرار النهج السابق على ما هو عليه سيجلب كوارث كبيرة جداً على شعبنا الفلسطيني. ولا ننسى أن الاحتلال لم يفتح معركة القدس بعد، كما أن هناك قضية قد يغفل عنها البعض، لكن إذا تصدى الاحتلال لها من بابين، تكون القدس قد انتهت على الأرض بالوقائع التي يفرضها، غير أنه لا يستطيع أن ينهيها من ذاكرتنا كما أراد بلفور منذ مئة عام، فالذاكرة ما زالت حية كما كانت، وستظل. الأمر الأول: أملاك الغائبين، والثاني: البناء غير المرخص، وهذا يساوي ١٠٠,٠٠٠ وحدة سكنية في القدس. أي كم سيبقى لنا في القدس تحت عنوان عملية تسوية؟ وبالتالي، لا بد من استراتيجيا فلسطينية جديدة يشارك فيها كل فلسطيني. لماذا لا نقول مصلحة الشعب الفلسطيني الآن تقتضي ذلك؟ ولماذا لا نرى أنها من الدوافع الرئيسية لحركة "حماس" من أجل المشاركة في حكومة وحدة فلسطينية، وفي منظمة التحرير الفلسطينية؟ لنقتنص الفرصة الآن ونتحد مع بعضنا البعض، ومعركة القدس أكبر دليل على ذلك، فعندما شارك فيها كل طيف فلسطيني، استطعنا أن نُنجز انتصاراً بوحدتنا.

سمير شحادة: كيف نستطيع الإجابة عن هذا السؤال ونحن لسنا قادرين على قراءة الذي يحدث حالياً؟ هذا السؤال غير واقعي! نحن مفروزون، فحتى الآن اليسار يسار، ويُلقي الحمل على "فتح" أو اليمين، وكذلك "فتح" و"حماس"؛ المشكلة هي في ذهنيتنا، وفي أننا غير قادرين على أن نتخلص ممّا فعلت أيدينا. السؤال هو هل يمكن أن نتخلص ممّا فعلناه، ونبدأ سطراً جديداً؟ هذا في تقديري غير ممكن، وبالتالي أنا لا أستطيع أن أرى شيئاً من التفاؤل الذي يمكن أن يراه غيري، لا "فتح" ستتغير، ولا "حماس" ستتغير، ولا اليسار سيتنازل عن عرشه المجيد.

عمر عساف: نعم كان يمكن ألاّ نصل إلى ما وصلنا إليه لو لم تتعجل القيادة في "استثمار" حالة النضال والتضحيات التي قدمها الشعب في الانتفاضة على مدى بضعة أعوام. لقد

تعجلت بثمن زهيد هو: أين تكون القيادة؟ فعندما وُوجه أبو عمار في المجلس الوطني باتجاهٍ لرفض أوسلو، سألهم: "كل واحد بيروح عبيتو، وأنا وين بدي أروح؟" فهل قضية الشعب الفلسطيني كلها تُختزل في إيجاد مكان للقيادة؟ أعتقد أن هذه إشكالية أن القيادة عوّدتنا على أن تخضع للضغوط العربية والضغوط الإقليمية، ولهذا استعجلت في الوصول إلى ما وصلت إليه.

إن القيادة الفلسطينية الراهنة على اختلاف تلاوينها، ليس أنها لم تعد قادرة على حمل البرنامج الوطني فقط، بل إنها أصبحت بتكوينها، عائقاً أمام إنجاز هذا البرنامج. وأضيف على ذلك مثالين: الأول، أن انتفاضة القدس التي حدثت قبل شهرين أثبتت أن الشعب الفلسطيني يمتلك طاقات كبرى، أمّا الثاني، فعندما تحدث البعض عن انتفاضة السكاكين التي ما زالت مستعرة منذ سنتين أو أكثر، لماذا لم تستطع القيادة الأخذ بيد هؤلاء الشباب؟ السبب هو الخوف من دفع الثمن الأمني لانتفاضة كهذه، وهذا قبل أي شيء، حتى قبل الامتيازات. وبالتالي، فإن القيادة هي الأساس، وإلاّ لما قلنا على وسائل الإعلام، وهذا تصريح غير مريح لأي منا: "نحن نفتش حقائب الطلبة للبحث عن السكاكين."

رباح مهنا: أعتقد أن أهمية هذا السؤال تكمن في استخلاص العبر التي قد تكون صالحة للاستفادة منها في معالجة الوضع الفلسطيني الحالي. نعم، الانتفاضة هبّة شعبية عظيمة، وكان يجب استثمارها بطريقة أفضل. ومَن اتخذ القرار في الذهاب إلى مدريد ليست القيادة الفلسطينية، ولا اللجنة التنفيذية ولا "فتح"، بل أبو عمار. ذهبوا بشكل سري واتفقوا، وعندما عُرض موضوع أوسلو علينا، كان التصويت ٨ مع القرار، و٨ ضد. لقد استعجلت القيادة، وهذا أول درس نستفيد منه. مخطئ مَن يعتقد أن أميركا يمكن أن تكون وسيطاً نزيهاً بيننا وبين الإسرائيليين، بل ربما يكون مجرماً، فالقيادة لن تقبل بالتفريط ولا حتى بالحد الأدنى من ثوابتها، كحق العودة، وحق تقرير المصير. النقطة الثانية هي الشفافية، فمشكلة مدريد واتفاق أوسلو تكمن في أن مَن عمل عليه طبّقه في الظلام، من دون علم القيادات والشعب الذي كان في إمكانه أن يمنعهم ويتصدى لهم بطرق ديمقراطية تفتح المجال لبحث خيارات أُخرى ربما تعيد الحياة إلى مشروعنا. وأنا سعيد لأن هبّة القدس كانت نموذجاً إيجابياً لمخزون شعبنا البطل. ■